سد الذرائع في مسائل العقيدة
على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة

تأليف
الدكتور/ عبد الله شاكر محمد الجنيدى
رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية المعلمين
بالقنفذة - السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى 0

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله 0

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [1] 0

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} [2] 0

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} [3] 0

أما بعد:

فلعل من نافلة القول ومكرور الكلام أن يقال: إن التوحيد وإفراد الله بجميع أنواع العبادة أساس دعوة الأنبياء والمرسلين فما من نبي بُعث في قومه إلا أمرهم به ودعاهم إليه كما قال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ}** [4]، وهو مفتتح دعوة الأنبياء والمرسلين، فكل منهم قال لقومه: **{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}**، والمتتبع لكتاب الله الكريم يجد هذا واضحاً فيه غاية الوضوح، كما أنه كان من أعظم ما اعتنى به نبينا الأمين صلى الله عليه وسلم حيث مكث في مكة ثلاثة عشر عاماً يركز ويكرر ويؤكد الدعوة إلى هذا التوحيد، ثم بعد هجرته كان ينافح ويدافع ويزيل العقبات التي تعترض طريقه حتى يُبَلِّغ ما أوحى الله به ويدخل الناس بهذا التوحيد إلى الدين الذي ارتضاه الله لهم، ووضع القواعد اللازمة لصيانته، وقضى على كل وسيلة مفضية إلى الإخلال به، وسدَّ كل ذريعة يمكن أن تؤدى إلى شائبة فيه – كما سيتضح من خلال هذا البحث – إن شاء الله تعالى – وهذا من كمال الشريعة ومقاصدها الحميدة 0

يقول العلامة ابن القيم – رحمه الله -: "لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود وكلاهما مقصود لكنه مقصود قصد الغايات، وهى مقصودة قصد الوسائل، فإذا حرَّم الرب تعالى شيئاً وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقاً لتحريمه وتثبيتاً له، ومنعا أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضا للتحريم، وإغراءً للنفوس به، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء" [5] 0

ولأهمية هذا الموضوع وتجليته، وعدم وجود كتاب يجمع شتات ما تفرق من أقوال لعلماء السلف فيه 0 استعنت الله عز وجل في الكتابة حوله سائلا العلى الأعلى أن ينفع به 0

وقد تضمن البحث بعد هذه المقدمة والتمهيد خمسة فصول وخاتمة، وبيان ذلك فيما يلي:

- المقدمة: وقد بينت فيها أهمية دراسة هذا الموضوع والكتابة حوله 0
- التمهيد: وقد بينت فيه مفهوم الذريعة، والأدلة على وجوب سدها من القرآن والسنة وأقوال بعض الأئمة 0
- الفصل الأول: سد الذرائع المؤدية إلى الشرك الأكبر 0

وتحته ثلاثة مباحث:

1- المبحث الأول: تعريف الشرك الأكبر وبيان خطورته 0
2- المبحث الثاني: بعض الآيات والأمثلة المتعلقة بسد الذرائع إلى الشرك الأكبر 0
3- المبحث الثالث: بعض أحاديث سد الذرائع المتعلقة بالشرك الأكبر 0

- الفصل الثاني: سد الذرائع المؤدية إلى الشرك الأصغر 0

وتحته مبحثان:

1- المبحث الأول: سد الذرائع في الألفاظ 0

---

[1] آل عمران / آية: 102.

[2] النساء / آية: 1.

[3] الأحزاب / آية: 70، 71.

[4] الأنبياء / آية: 25.

[5] إعلام الموقعين جـ 3 / 147.

2- المبحث الثاني: سد الذرائع في الأعمال 0
- الفصل الثالث: سد الذرائع في توحيد المعرفة والإثبات 0
وتحته مبحثان:
1- المبحث الأول: سد الذرائع في مضاهاة أفعال الله تعالى 0
2- المبحث الثاني: سد الذرائع في توحيد الأسماء والصفات 0
- الفصل الرابع: سد الذرائع المتعلق بالنبوة والرسالة 0
وتحته أربعة مباحث:
1- المبحث الأول: تأييد الأنبياء بمعجزات لا تحصل لغيرهم 0
2- المبحث الثاني: النهى عن المفاضلة بين الأنبياء 0
3- المبحث الثالث: إرسال المرسلين بلسان أقوامهم ليعقلوا خطابهم 0
4- المبحث الرابع: نهى المؤمنين عن مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ "راعنا"0

- الفصل الخامس: سد الذرائع المتعلق بالإمامة والخروج على الحاكم 0
وتحته مبحثان:
1- المبحث الأول: وجوب تنصيب إمام واحد والاجتماع عليه 0
2- المبحث الثاني: ترك الخروج على الحاكم وطاعته في غير معصية الله 0
الخاتمــة:
هذا وقد جعلته بين التطويل الممل والتقصير المخل، مع رغبة في العودة إليه عند فسحة من الوقت 0
وأسأل الله عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثيبني عليه خيرا يوم الدين، وأن يغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين 0
و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين 0
كتبه
أبو محمد
د/ عبد الله شاكر محمد الجنيدي
في مساء يوم السبت الرابع من شهر ربيع الثاني
عام 1420 هـ 0
الموافق 17/7/1999م 0
التمهيد: ويشتمل على ما يلي:
1- تعريف الذريعة ومفهوم سد الذرائع 0
2- الأدلة على وجوب سد الذرائــع 0
أولاً: تعريف الذريعة:
الذريعة: هي الوسيلة والسبب إلى الشيء، وأصلها عند العرب: الناقة التي يستتر بها رامي الصيد حتى يصل إلى صيده 0[1]
قال ابن تيمية: "والذريعة: ما كان وسيلة وطريقا إلى الشيء، لكن صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن فيها مفسدة، ولهذا قيل:الذريعة: الفعل الذي ظاهره أنه مباح وهو وسيلة إلى فعل المحرم" 0[2]
وقال الشاطبي: "حقيقة الذريعة:التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة" 0[3]
والذرائع بذلك تختلف عن الحيل، فسد الذرائع مطلوب، والحيل محرمة لا تجوز، لأن حقيقتها:تقديم عمل ظاهر الجواز لإبطال حكم شرعي وتحويله في الظاهر إلى حكم آخر، كالواهب ماله عند رأس الحول فرارا من الزكاة 0[4]
قال ابن تيمية:"واعلم أن تجويز الحيل يناقض سد الذرائع مناقضة ظاهرة، فإن الشارع سد الطريق إلى ذلك المحرم بكل طريق، والمحتال يريد أن يتوسل إليه" 0[5]
وقال ابن القيم: "وتجويز الحيل يناقض سد الذرائع مناقضة ظاهرة فإن الشارع يسد الطريق إلى المفاسد بكل ممكن، والمحتال يفتح الطريق إليها بحيلة، فأين من يمنع من الجائز خشية الوقوع في المحرم إلى من يعمل الحيلة في التوصل إليه" 0[6]
ثانياً: الأدلة على وجوب سد الذرائع:
دل القرآن والسنة والإجماع على وجوب سد الذرائع وإليكم بعض ما جاء من ذلك 0
أولاً: أدلة القرآن الكريم:
1- قال تعالى:**{وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَــدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ}**0[7]

---

[1] لسان العرب جـ 8/96، والقاموس المحيط جـ 3 /24.

[2] مجموعة الفتاوى الكبرى جـ 3 /139.

[3] الموافقات جـ 3 /199.

[4] المرجع السابق جـ 3 /201.

[5] مجموعة الفتاوى الكبرى جـ 3 /145.

[6] إعلام الموقعين جـ 3 /171.

ووجه الدلالة من الآية: أن الله سبحانه وتعالى نهى المؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهى سب المشركين لله عز وجل، فكان النهى سدًّا لهذه الذريعة، وهذا دليل على المنع من الجائز إذا كان يؤدى إلى محرم 0

قال القرطبي:"في هذه الآية ضرب من الموادعة، ودليل على وجوب الحكم بسد الذرائع"[1]0

ونقل القاسمي عن بعض العلماء قوله في الآية:"إنه متى خيف من سب الكفار وأصنامهم أن يسبوا الله، أو رسوله، أو القرآن لم يجز أن يُسَبُّوا ولا دينهم، قال:وهى أصل في قاعدة سد الذرائع"[2]0

وقال الشيخ/ عبد الرحمن السعدي:"وفى هذه الآية الكريمة دليل للقاعدة الشرعية، وهو أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم، ولو كانت جائزة تكون محرمة إذا كانت تفضي إلى الشر"[3]0

2- وقال تعالى:**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**[4]0

ووجه الدلالة من الآية:أن الله سبحانه وتعالى نهى المؤمنين عن كلمة "راعنا"، ومعناها عندهم راعنا سمعك، أي:اسمع لنا ما نريد أن نسأل عنه ونراجعك فيه، وهذا معنى صحيح، ولكن الله نهاهم عنها سدا للذريعة، لأن اليهود كانوا يقولونها لاوين بها ألسنتهم، لتوافق كلمة شتم عندهم، أو نسبة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرعونة 0

وسيأتي كلام على هذه الآية – إن شاء الله تعالى – في الفصل الخامس من هذا البحث 0

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية:

1- عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه"[5]0

ووجه الدلالة من هذا الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الرجل لاعنا لأبويه إذا كان سببا في ذلك، وإن لم يقصده 0

قال النووى – رحمه الله – في شرحه للحديث:"فيه دليل على أن من تسبب في شيئ جاز أن ينسب إليه ذلك الشيء، وإنما جعل هذا عقوقاً لكونه يحصل منه ما يتأذى به الوالد تأذيا ليس بالهين، وفيه قطع الذرائع، فيؤخذ منه النهى عن بيع العصير ممن يتخذ الخمر، والسلاح ممن يقطع الطريق ونحو ذلك 0 والله أعلم"[6]0

وقال ابن حجر:"قال ابن بطال:هذا الحديث أصل في سد الذرائع، ويؤخذ منه أن من آل فعله إلى محرم يحرم عليه ذلك الفعل، وإن لم يقصد إلى ما يحرم، والأصل في هذا الحديث:قوله تعالى:**{وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}** [7] 0

2- قال عبد الله بن أبى بن سلول في غزوة بنى المصطلق:"أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقام عمر فقال:يا رسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه" [8] 0

ووجه الدلالة من قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا، أنه كان يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة، لئلا يكون ذريعة لتنفير الناس عنه وقولهم:إن محمدا يقتل أصحابه 0

---

[7] الأنعام / آية: 108.

[1] الجامع لأحكام القرآن جـ 4/2497.

[2] محاسن التأويل جـ 6 /2463.

[3] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان جـ 2 /454،455.

[4] البقرة / آية: 104.

[5] أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب 4 جـ 10 /403،ومسلم كتاب الإيمان باب 38 ط/92 وأبو داود في كتاب الأدب باب 129 جـ 5 /352.

[6] شرح النووي على مسلم جـ 2 /88.

[7] فتح البارى شرح صحيح البخاري جـ 10 /404.

[8] أخرجه البخاري في كتاب التفسير جـ 8 /648، ومسلم في كتاب البر باب 16 جـ 4 /1998.

يقول ابن تيمية في ذلك:"إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة لئلا يكون ذريعة إلى قول الناس أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه لأن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه، وممن لم يدخل فيه، وهذا النفور حرام"[1]0

ثالثاً: الإجماع:

أجمع الصحابة على بعض المسائل التي يمكن أن يستدل بها على وجوب سد الذرائع، وقد اعتبرها أهل العلم أدلة على سد الذرائع واحتجوا بها، كما عمل بها كثير من الأئمة، وإليكم بعض الأدلة 0

1- إن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ورثوا المطلقة المبتوتة في مرض الموت، حيث يتهم بقصد حرمانها من الميراث بلا تردد، وإن لم يقصد الحرمان، لأن الطلاق ذريعة وأما حيث لا يتهم ففيه خلاف معروف [2]0

وقد رجح ابن قدامة توريثها فقال:"وإن كان الطلاق في المرض المخوف، ثم مات من مرضه ذلك في عدتها ورثته، ولم يرثها إن ماتت، وروى عن عتبة بن عبد الله بن الزبير لا ترث مبتوته، ولنا:أن عثمان – رضي الله عنه – ورث تماضر بنت الأصبغ الكلبية من عبد الرحمن بن عوف، وكان طلقها في مرضه فبتها، واشتهر ذلك في الصحابة فلم ينكر فكان إجماعا" [3]0

2- إجماع الصحابة – رضي الله عنهم – وعامة الفقهاء على قتل الجماعة بالواحد، وإن كان قياس القصاص يمنع ذلك، لئلا يكون عدم القصاص ذريعة إلى التعاون على سفك الدماء، قال ابن قدامة:" ولأن القصاص لو سقط بالاشتراك أدى إلى التسارع إلى القتل به، فيؤدى إلى إسقاط حكمة الردع والزجر"[4]0

وقد تتابع كثير من العلماء على اعتبار سد الذرائع، وحكَّمها الإمام مالك في أكثر أبواب الفقه، كما ذكر الشاطبي [5]، وقال بعد أن ذكر خلافا بين الإمامين مالك والشافعي:"فقد ظهر أن قاعدة سد الذرائع متفق على اعتبارها في الجملة"[6]0

وقال ابن بدران:"سد الذرائع هو مذهب مالك وأصحابنا"[7]0 يعنى الحنابلة 0

وقد قال بها ابن تيمية، وذكر لها ثلاثين شاهدا من الشريعة يدل عليها [8]، وتوسع ابن القيم فذكر تسعة وتسعين دليلا عليها، وختم كلامه بقوله:"ولنقتصر على هذا العدد من الأمثلة الموافق لأسماء الله الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة، وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهى، والأمر نوعان:أحدهما:مقصود لنفسه، والثاني:وسيلة إلى المقصود، والنهى نوعان: أحدهما: ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه 0 والثاني:ما يكون وسيلة إلى المفسدة، فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين" [9]0

الفصل الأول: سد الذرائع المؤدية إلى الشرك الأكبر

المبحث الأول: تعريف الشرك الأكبر وبيان خطورته

الشرك الأكبر: هو أن يجعل العبد لله شريكاً وندا في ربوبيته وإلهيته، وأغلب شرك المشركين وقع في توحيد الإلهية كدعاء غير الله، أو صرف أي لون من ألوان العبادة لغير الله كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة وما إلى ذلك 0

والشرك بالله أعظم ذنب عصى الله به، فهو أظلم الظلم، وأكبر الكبائر، وما هلكت الأمم الغابرة وأعدت لهم النيران في الآخرة إلا بالشرك، وما أرسل الله الأنبياء والمرسلين وأنزل عليهم الكتب بالحق المبين إلا للتحذير منه وبيان قبحه وشؤمه، ودعوة الناس إلى ضده ألا وهو تحقيق التوحيد لله رب العالمين 0

والشرك خطره عظيم وضرره على العبد كبير، وذلك للأسباب التالية:

1- لأنه تشبيه للمخلوق العاجز الضعيف بالواحد الأحد المتفرد بالجلال والكمال، ومن أشرك مع الله أحدا فقد شبهه به، وهذا أعظم الظلم كما في الصحيحين [10]0 من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه – قال:سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال:" أن تجعل لله ندا وهو خلقك" قال النووى: "الند: الضد والشبه، وفلان ند فلان ونديده ونديدته أي:مثله.. أما أحكام هذا الحديث: ففيه أن أكبر المعاصي الشرك،وهذا ظاهر لا خفاء فيه"[11]0

---

[1] مجموعة الفتاوى الكبرى جـ 3 /140.

[2] انظر مجموعة الفتاوى الكبرى لابن تيمية جـ 4 /143.

[3] المغنى جـ 6 /329،330.

[4] المرجع السابق جـ 7 /672، ومجموعة الفتاوى الكبرى جـ 4 /143.

[5] الموافقات جـ 4 /198.

[6] المرجع السابق جـ 4 /200،201.

[7] المدخل إلى مذهب أحمد /138.

[8] مجموعة الفتاوى الكبرى جـ 3 /138 – 145.

[9] إعلام الموقعين جـ 3/171.

[10] أخرجه البخاري في مواضع منها كتاب التفسير باب 3 جـ 8 /163، وكتاب التوحيد باب 46 جـ 13/503، ومسلم كتاب الإيمان 0 باب كون الشرك أقبح الذنوب جـ 1 /90.

2- أن الله لا يغفر لمشرك مات على الشرك دون توبة 0 قال الله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}**[1]0

3- أن الله حرم الجنة على كل مشرك 0 قال تعالى: **{إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}**[2]0

4- أن الشرك يحبط جميع الأعمال التي يعملها العبد، وتصير هباءً منثوراً في يوم الدين 0قال تعالى: **{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}**[3]0

المبحث الثاني: بعض الآيات والأمثلة المتعلقة بسد الذرائع إلى الشرك الأكبر 0

بعد الوقوف على خطورة الشرك الأكبر ومفاسده وأضراره أتعرض لذكر نماذج يسيرة من القرآن والسنة جاء بها الشرع الحكيم لقطع علائق الشرك كله وما يؤدى إليه، حتى يتبين لنا كيف أن الإسلام سدَّ الذرائع المؤدية إلى الشرك، وأحكم الحديث في هذا الباب أيما إحكام ليحذر العباد من الشرك ومن الوسائل المفضية إلى حصوله ووقوعه،فمن ذلك:

1- الآيات الدالة على عبودية عيسى – عليه السلام – وأنه بشر رسول مخلوق، ليس بإله، أو فيه جزء من الإله، أو أنه ابن الله - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا-، وذلك سدًّا لذريعة الشرك، واتخاذه إلها من دون الله أو مع الله، ودفعا لأي شبهة ترد على الطريقة التي خلق بها 0 قال تعالى: **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** [4]0

قال ابن تيمية:" فأعنى بقوله **{مَثَلَ عِيسَى}** إشارة إلى البشرية المأخوذة من مريم الطاهرة، لأنه لم يذكر هنا اسم المسيح، إنما ذكر عيسى فقط، فإنه سبحانه خلق هذا النوع البشرى على الأقسام الممكنة ليبين عموم قدرته، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى، كما قال: **{وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا}**، وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من ذكر وأنثى، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح، فإن حواء خلقت من ضلع آدم، وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا، وهو أصل خلق حواء فلهذا شبهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح، وهذا كله يبين به أن المسيح عبدُ ليس بإله، وأنه مخلوق كما خلق آدم"[5]0

وقال ابن كثير:"يقول تعالى: **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ}** في قدرة الله تعالى حيث خلقه من غير أب **{كَمَثَلِ آدَمَ}** فإنه الله تعالى خلقه من غير أب ولا أم، بل **{خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** والذي خلق آدم قادر على خلق عيسى بطريق الأولى والأحرى، وإن جاز ادعاء البنوة في عيسى بكونه مخلوقاً من غير أب، فجواز ذلك في آدم بالطريقة الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل فدعواها في عيسى أشد بطلانا وأظهر فسادا، ولكن الرب عز وجل أراد أن يظهر قدرته حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق البرية من ذكر وأنثى" [6]0

ويقرر ربنا في آيات أخرى بشرية عيسى وأمه – عليهما السلام- وأنهما من جنس البشر، ويسلكان في الطبيعة البشرية ما يسلكه غيرهم 0 قال تعالى: **{ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآياتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}** [7]0

يعنى أن عيسى رسول من رسل الله تعالى الذين أرسلوا لهداية البشرية ودعوتها إلى توحيد الله وعبادته، وأمه صديقة من فضليات النساء، وحقيقتهما مساوية لحقيقة غيرهما من أفراد نوعهما وجنسهما بدليل أنهما كان يأكلان الطعام، وكل من يأكل الطعام فهو مفتقر إلى ما يقيم بنيته ويمد حياته، إلى جانب أن أكل الطعام يستلزم الحاجة إلى دفع الفضلات، وعليه فلا يمكن أن يكون ربا خالقا، ولا ينبغي أن يكون ربا معبودا 0

قال الشوكاني في تفسيره للآية: **{مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}**، أي: هو مقصور على الرسالة لا يجاوزها كما زعمتم، وجملة **{قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}** صفة لرسول، أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله، وما وقع منه من المعجزات لا يوجب كونه إلها، فقد كان لمن قبله من الرسل مثلها، فإن الله أحيا العصا في يد موسى، وخلق آدم من غير أب، فكيف جعلتم إحياء عيسى للموتى ووجوده من غير أب يوجبان كونه إلها، فإن كان كما تزعمون إلها لذلك، فمن قبله من الرسل الذين جاءوا بمثل ما جاء به آلهة، وأنتم لا تقولون بذلك 0 قوله: **{وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ}** عطف على المسيح، أي:وما أمه إلا صديقة، وذلك لا يستلزم الإلهية لها، بل هي كسائر من يتصف بهذا الوصف من النساء 0 قوله:

---

[11] شرح النووي على مسلم جـ 2 /80،81.

[1] النساء / آية: 48،117.

[2] المائدة / آية: 72.

[3] الزمر / آية: 65، 66.

[4] آل عمران / آية: 59.

[5] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ 2 / 293 – 295.

[6] تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ 1/40.

[7] المائدة / آية: 79.

{كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ} استئناف يتضمن التقرير لما أشير إليه من أنهما كسائر أفراد البشر:أي من كان يأكل الطعام كسائر المخلوقين فليس برب، بل هو عبد مربوب ولدته النساء، فمتى يصلح لأن يكون ربا" [1]0

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره:"أي:هذا غايته ومنتهى أمره، أنه من عباد الله المرسلين، الذين ليس لهم من الأمر، ولا من التشريع إلا ما أرسلهم به الله، وهو من جنس الرسل قبله، لا مزية له عليهم تخرجه عن البشرية إلى مرتبة الربوبية، **{وَأُمُّهُ}** مريم **{صِدِّيقَةٌ}** أي: هذا أيضا غايتها، أن كانت من الصديقين الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء، فإذا كان عيسى –عليه السلام – من جنس الأنبياء والرسل من قبله، وأمه صديقة، فلأي شيئا تخذهما النصارى إلهين مع الله؟، وقوله:**{كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ}** دليل ظاهر على أنهما عبدان فقيران محتاجان كما يحتاج بنو آدم إلى الطعام والشراب، فلو كانا إلهين لاستغنيا عن الطعام والشراب ولم يحتاجا إلى شيء، فإن الإله هو الغنى الحميد" [2]0

وقال تعالى:**{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}** [3] وأن مريم ولدت إلها، ولذلك رد الله عليهم هذا البهتان وعليه فكيف يدَّعون الإلهية لمن يعترف على نفسه بأنه عبد مثلهم كما أن دلائل الحدوث ظاهرة عليه [4]0

وقال تعالى:**{وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}** [5]0

قال القاسمي في تفسيره:" لا ذكر تعالى أنه يعدد نعمه على عيسى بحضرة الرسل واحدة فواحدة إشعاراً بعبوديته، فإن كل واحد من تلك النعم المعدودة عليه، تدل على أنه عبد وليس بإله ثم أتبع ذلك باستفهامه لينطق بإقراره – عليه السلام – على رؤوس الأشهاد بالعبودية، وأمره لهم بعبادة الله عز وجل إكذابا لهم في افترائهم عليه، وتثبيتا للحجة على قومه، فهذا سر سؤاله تعالى له، مع علمه بأنه لم يقل ذلك، وكل ذلك لتنبيه النصارى الذين كانوا في وقت نزول الآية ومن تأثر بهم على قبح مقالتهم وركاكة مذهبهم واعتقادهم"[6]0

ومثل ذلك ما جاء في قوله تعالى:**{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً}** إلى قوله:**{إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}** [7]0

قال ابن كثير في تفسيره:"ومما أمر عيسى به قومه وهو في مهده: أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربهم وربه وأمرهم بعبادته فقال:**{فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}** أي:هذا الذي جئتكم به عن الله صراط مستقيم، أي: قويم 0 من اتبعه رشد وهدى، ومن خالفه ضل وغوى"[8]0

وعن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد لله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"[9]0

2- الآيات الدالة على عبودية النبي صلى الله عليه وسلم

جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدل وترشد إلى حقيقة هامة ألا وهى أن النبي صلى الله عليه وسلم بشر كسائر البشر، ولكنه فضل عليهم بالنبوة والرسالة التي توجب محبته وطاعته والانقياد لأمره صلى الله عليه وسلم، كما نهى صلى الله عليه وسلم عن الغلو والإطراء في شخصه، وذلك سدًّا لذريعة اتخاذه شريكا مع الله، أو صرف أي لون من ألوان العبادة له صلى الله عليه وسلم قال تعالى:**{قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}** [10]0 ولهذا كانت العبودية هي أشرف مقام للنبي صلى الله عليه وسلم وقد خاطبه ربه بها في أشرف المناسبات وأعظم المقامات قال تعالى:**{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى**

---

[1] فتح القدير جـ 2 /64.

[2] تيسير الكريم الرحمن جـ 2/ 326،327.

[3] المائدة /آية:72.

[4] انظر الدين الخالص لصديق حسن خان جـ 1 /25.

[5] المائدة /آية:116، 117

[6] محاسن التأويل جـ 6 /2219.

[7] مريم الآيات من 30 – 36.

[8] تفسير ابن كثير جـ 4 /225.

[9] أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب 47 جـ 6 /474، ومسلم كتاب الإيمان جـ 1 /58،59، وأحمد في مسنده جـ 5 /313،314.

[10] الأعراف / آية: 188.

بِعَبْدِهِ}[1]، وقال تعالى:**{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا}**0[2] وقال سبحانه:**{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً}**[3]، وقال تعالى:**{وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَداً}**0[4]

وإذا كان رسول رب العالمين الذي هو أكمل الخلق وأقربهم إلى الله عز وجل لا يملك ضرا ولا رشدا بنص كتاب الله الكريم فغيره من سائر الخلق ممن هم دونه صلى الله عليه وسلم من باب أولى وأحرى، بل إنه صلى الله عليه وسلم ما سبق غيره إلا بكمال عبوديته لربه 0

قال ابن القيم: "أكمل الخلق أكملهم عبودية وأعظمهم شهودا لفقره وضرورته وحاجته إلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، ولهذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم "أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحد من خلقك"[5]، وكان يدعو:"يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"[6]، يعلم صلى الله عليه وسلم أن قلبه بيد الرحمن عز وجل لا يملك منه شيئاً، وأن الله سبحانه يصرفه كما يشاء، وهو يتلو قوله تعالى:**{وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً}**[7]، فضرورته صلى الله عليه وسلم إلى ربه وفاقته إليه بحسب معرفته به، وحسب قربه منه ومنزلته عنده..، ولهذا كان أقرب الخلق إلى الله وسيلة وأعظمهم جاها وأرفعهم عنده منزلة لتكميله مقام العبودية والفقر إلى ربه ....، وذكره الله سبحانه بسمة العبودية في أشرف مقاماته، مقام الإسراء، ومقام الدعوة، ومقام التحدي فقال:**{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً}**[8]0وقال:**{وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ}**[9]0 وفي حديث الشفاعة:"أن المسيح يقول لهم: اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"[10]، فنال ذلك المقام بكمال عبوديته لله وبكمال مغفرة الله له"[11]0 وللعلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – كلام جميل على هذا الموضوع يحسن إيراد شيئا منه هنا لتتم الفائدة 0 قال وهو يفسر أوائل سورة الحجرات: "مسألتان: الأولى: اعلم أن عدم احترام النبي صلى الله عليه وسلم المشعر بالغض منه، أو تنقيصه صلى الله عليه وسلم والاستخفاف به، أو الاستهزاء به ردة عن الإسلام وكفر بالله، وقد قال تعالى في الذين استهزءوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وسخروا منه في غزوة تبوك لما ضلت راحلته:**{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}**[12]0

المسألة الثانية: وهى من أهم المسائل، اعلم أنه يجب على كل إنسان أن يميز بين حقوق الله تعالى التي هي من خصائص ربوبيته التي لا يجوز صرفها لغيره، وبين حقوق خلقه كحق النبي صلى الله عليه وسلم ليضع كل شيئ في موضعه على ضوء ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم في هذا القرآن العظيم والسنة الصحيحة 0

وإذا عرفت ذلك فاعلم:أن من الحقوق الخاصة بالله التي هي من خصائص ربوبيته التجاء عبده إليه إذا دهمته الكروب التي لا يقدر على كشفها إلا الله، فالتجاء المضطر الذي أحاطت به الكروب ودهمته الدواهي لا يجوز إلا لله وحده، لأنه من خصائص الربوبية، فصرف ذلك الحق لله وإخلاصه له هو عين طاعة الله ومرضاته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ومرضاته، وهو عين التوقير والتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم لأن أعظم أنواع توقيره وتعظيمه هو اتباعه والاقتداء به في إخلاص التوحيد والعبادة له وحده جل وعلا، وقد بين جل وعلا في آيات كثيرة من كتابه أن التجاء المضطر من عباده إليه وحده في أوقات الشدة والكرب من خصائص ربوبيته تعالى... قال تعالى:**{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ}**[13]، ثم بين من خصائص ربوبيته الدالة على أنه المعبود وحده فقال:**{أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ**

---

[1] الإسراء / آية: 1.

[2] الكهف / آية: 1.

[3] الفرقان / آية: 1.

[4] الجن / الآيات من 19 – 21.

[5] أخرجه أبوداود في كتاب الأدب باب 11 جـ 5 /326، وأحمد في مسنده جـ 5 /42.

[6] أخرجه الترمذي في أبواب الدعوات جـ 9 /504، ومسند أحمد جـ 3 /257،والسنة لابن ابى عاصم جـ 1 /101، والآجرى في الشريعة /317.

[7] الإسراء / آية: 74.

[8] الإسراء / آية:1.

[9] الجن / آية: 19.

[10] أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب 19 جـ 13/ 392، ومسلم كتاب الإيمان باب 84 جـ 1 /180، 181.

[11] طريق الهجرتين وباب السعادتين ص 10،11.

[12] التوبة / آية:65، 66.

لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} فهذه المذكورات التي هي خلق السماوات والأرض وإنزال الماء من السماء وإنبات الحدائق ذات البهجة التي لا يقدر على إنبات شجرها إلا الله من خصائص ربوبيه الله، ولذا قال تعالى بعدها **{أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ}** يقدر على خلق السماوات والأرض وإنزال الماء من السماء وإنبات الحدائق به، والجواب "لا" لأنه لا إله إلا الله وحده"[1]0

3- الآيات الدالة على أن دعاء غير الله واللجوء إليه شرك 0

جاء آيات كثيرة في القرآن الكريم تبين أن الدعاء والاستعاذة والاستغاثة لا تكون إلا بالله وحده لا شريك له، وأن الآلهة الباطلة التي عبدت من دونه لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرا، فكيف يرجو العبد منها شيئا لا تملكه، وذلك سدًّا لذريعة التعلق بها، أو اعتقاد نفع فيها، ويسلك القرآن الكريم في ذلك مسلكا عظيما يضيق المقام عن استقصائه، ولكن تكفى الإشارة إلى بعض من ذلك[2] 0

1- بيان عجز هذه الآلهة المزعومة وإبراز فقرها وضعفها كقوله تعالى:**{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً}** [3] 0 وكقوله تعالى:**{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}**[4] 0 فقد بينت هذه الآيات بيانا شافيا قاطعا للعذر أن غير الله لا يدعى لأنه إلى جانب أنه لا ينفع ولا يضر لم يخلق شيئا بالاستقلال، كما لم يخلق شيئا بالشركة، وليس عند المشركين أي دليل على ما يفعلون ثم بينت الآيات ضلال من يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة، بل نصَّت على أن المدعو غافل عن دعاء الداعي مما يبين عجزه وضعفه وشدة احتياجه إلى خالقه وربه، وقد ذكر القاسمي –رحمه الله – في الآيات الأخيرة لطيفة جميلة نقلها عن من يعرف بالناصر وإليك نصها:"لطيفة: قال الناصر: في قوله **{إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}** نكتة حسنة، وذلك أنه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة، ومن شأن الغاية انتهاءُ المُغيَّا عندها لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية، لأنهم في يوم القيامة أيضا لا يستجيبون لهم، فالوجه – والله أعلم – أنها من الغايات المشعرة بأن ما بعدها، وإن وافق ما قبلها، إلا أنه أزيد منه زيادة بينة تلحقه بالثاني، حتى كأن الحالتين وإن كانتا نوعا واحدا لتفاوت ما بينهما كال شيئ وضده، وذلك أن الحالة الأولى التي جعلت غايتها القيامة، لا تزيد على عدم الاستجابة، والحالة الثانية التي في القيامة زادت على عدم الاستجابة بالعداوة والكفر بعبادتهم إياهم، فهو من وادي ما تقدم آنفا في سورة الزخرف في قوله:**{ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ}**[5]0

ومثل هذه الآيات ما جاء في قوله تعالى:**{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}**[6]0

فقد أخبر الله فيها عن حال المدعويين من دونه من الملائكة والأنبياء وغيرهم بما يدل على عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهى الملك، وسماع الدعاء، والقدرة على استجابته، فمتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته، فكيف إذا عدمت بالكلية؟[7]0

2- التشنيع بحال العابدين لهذه الآلهة الباطلة و رميهم بالضلال والسفه وعدم التعقل والتفكر، حيث رضوا لأنفسهم أن يعبدوا من لا يستحق العبادة ممن لا يملك لهم ولا لغيرهم نفعا ولا ضرا ولا يسمع ولا يبصر،ولا يملك من أمر نفسه شيئا، وذلك لأن الإله يجب أن يكون متصفا بصفات الجلال والكمال منزها عن صفات العجز والنقص والحدوث والاحتياج، لأن كل ذلك مناف للإلهية 0 قال تعالى على لسان إبراهيم – عليه السلام – في خطابه لقومه:**{أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ}**[8]0 وقال تعالى:**{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ**

---

[13] النمل / آية: 59، 60.

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن جـ 7 /617 – 621.

[2] باختصار وتصرف من كتاب دعوة التوحيد للدكتور /محمد خليل هراس ص 35 - 40.

[3] الإسراء آية: 56 – 57.

[4] الأحقاف الآيات من 4 – 6.

[5] محاسن التأويل جـ 15 /5338، 5339، والآيتين من سورة الزخرف 29،30.

[6] فاطر / آية: 13، 14.

[7] انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / 188.

[8] الأنبياء / آية: 67.

{دَعْوَةُ الْحَقِّ لَهُ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ}[1]0

جـ- تصوير ما سيكون وسيقع يوم القيامة بين العابدين والمعبودين، وبين الأتباع والمتبوعين من التبرؤ والمعاداة وتنصل المعبودين من جناية هؤلاء العابدين، وإنكـارهم أن يكون لهم يد في إضلالهم وشركهم، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: **{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}**[2]0

يقول ابن كثير في هذه الآيات:"وفى هذا تبكيت عظيم للمشـركين الـذين عبـدوا مـع اللـه غيره، ممن لا يسمع ولا يبصر، ولا يغنى عنهم شيئا، ولم يأمرهم بذلك ولا رضي بـه ولا أراده، بـل تبرأ منهم في وقت أحوج ما يكونون إليه، وقد تركوا عبادة الحي القيـوم السـميع البصـير، القـادر على كل شيء، العليم بكل شيء، وقد أرسل رسله وأنزل كتبه آمرا بعبـادته وحـده لا شـريك لـه ناهيا عن عبادة ما سواه، كما قال تعالى: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُـدُوا اللَّـهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُ مْ مَ نْ حَقَّ تْ عَلَيْ هِ الضَّ لالَةُ}**[3]، وقـال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُـدُونِ}**[4]، وقال: **{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُون}**[5]0

والمشركون أنواع وأقسام كثيرون قد ذكرهم الله في كتابه، وبين أحـوالهم وأقـوالهم ورد عليهم فيما هم فيه أتم رد"[6]0

المبحث الثالث: بعض أحاديث سد الذرائع المتعلقة بالشرك الأكبر 0

بعث رسول الهدى صلى الله عليه وسلم رحمة للعـالمين وهدايـة للنـاس أجمعيـن، وكـان صلى الله عليه وسلم حريصا كل الحرص على رجوع العباد إلى ربهم وعبـادتهم لـه وحـده، وكـان توحيد العبادة على رأس المهمات التي ركز عليها صلى الله عليه وسلم، بل هو لُبَّ دعوته ودعوة إخوانه من الأنبياء والمرسلين، ولذلك لا نجد عجبا حينما نجـد كتـب السـنة قـد امتلأت بكـثير مـن الأحاديث التي حذر فيها النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الشـرك، واحتـاط صـلى اللـه عليـه وسلم لهذا الأمر احتياطا عظيما بالغا، فسد الذرائع وأغلق أي باب يؤدى إلى الشرك، وأكّد وكـرر ونهى وحذر في مواقف مختلفة متعددة، حتى وقع ذلـك منـه صـلى اللـه عليـه وسـلم وهـو علـى فراش الموت 0

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:"وقد كان النبي صلى اللـه عليـه وسـلم يحقـق هـذا التوحيـد لأمته، ويحسم عنهم مواد الشرك، إذ هذا تحقيق قولنا "لا إله إلا الله"، فإن الإلـه هـو الـذي تـألهه القلوب لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف" [7]0

وهذه نبذة يسيرة مما قاله صلى الله عليه وسلم في ذلك 0

1- نهى عن الغلو فيه حتى لا يكون ذلك ذريعة إلى عبادته من دون الله، أو مع الله 0

فعن عمر بن الخطـاب – رضـي اللـه عنـه – قـال:سـمعت النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم يقول:"لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنمـا أنـا عبـده فقولـوا: عبـد اللـه ورسـوله"[8] والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه [9]، ولذلك نهى عنه النبي صلى الله عليه وسـلم حتى لا تقع أمته فيه، وتفعل كما فعلت النصارى بعيسى بن مريم 0

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في شرحه للحـديث:"أي لا تمـدحوني فتغلـوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى – عليه السلام- فادَّعوا فيه الإلهيـة، وإنمـا أنـا عبـد اللـه ورسوله فصفوني بذلك كما وصفني ربى فقولوا عبد الله ورسوله..."[10]0

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الغلو بصفة عامة أهلك الأمم السابقة، وكان سـببا في القضاء عليها، ومن هنا حذر أمته منه حتى لا تهلك كهلاكهم، فعن ابن عباس – رضي الله عنه

---

[1] الرعد / آية: 14.

[2] يونس الآيات من 28 – 30.

[3] النحل / آية:36.

[4] الأنبياء / آية: 25.

[5] الزخرف / آية: 45.

[6] تفسير ابن كثير جـ 3 /201، 202، وراجع ما بعدها من صفحات فإنه كلام جيد ونفيس 0

[7] مجموع الفتاوى جـ 1 /136.

[8] أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب 48 جـ 6 / 478، والدرامي في كتاب الرقائق جـ 2 /320، وأحمد في مسنده جـ 1/23، 24، 47، 55.

[9] النهاية في غريب الحديث والأثر جـ 3/123.

[10] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص 203، 231.

– قال:"قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداه جمع [1] هلَّم القط لي، فلقطت له حصيات من حصى الخذف [2]، فلما وضعهن في يده قال: نعم بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين"[3]0

ولمسلم عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "هلك المتنطعون" قالها ثلاثا [4] 0 والمتنطعون: هم المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم [5]0

وكرر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة ثلاث مرات مبالغة في التعليم والإبلاغ، وتحذيرا من الوقوع فيه لخطره وضرره على العقيدة وحماية لجناب التوحيد 0

قال ابن القيم:"فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وخير الناس النمط الأوسط، وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطا، وهى الخيار العدل لتوسطها بين الطرفين المذمومين، والعدل: هو بين طرفي الجور والتفريط، والآفات إنما تتطرق إلى الأطراف والأوساط محمية بأطرافها، فخيار الأمور أوساطها 0

قال الشاعر:

كانت هي الوسط المحمى فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا[6]0

وقد كان الغلو هو سبب عبادة الأصنام وحدوث الشرك في الأرض كما جاء في البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنه- في قول الله تعالى: **{وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً}** [7] قال: "أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ [8] العلم عبدت"[9]0

فهؤلاء كما جاء في الحديث غلوا في هؤلاء الصالحين لما صوروا صورهم ونصبوها في مجالسهم، وكان الدافع لهم إلى ذلك – في زعمهم- أن ينشطوا ويجتهدوا في الطاعة والعبادة ويسلكوا سبيلهم ولكن آل الأمر بعد طول الأمد وغلبة الجهل ووسوسة الشيطان إلى عبادتهم من دون الله عز وجل، وقد ساق ابن جرير الطبري بإسناده إلى محمد بن قيس أنه قال:"كانوا قوما صالحين من بنى آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال:"إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم"[10]0

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن:"فصارت هذه الأصنام بهذا التصوير على صور الصالحين سُلَّما إلى عبادتها، وكل ما عبد من دون الله من قبر، أو مشهد، أو صنم، أوطاغوت فالأصل في عبادته هو الغلو كما لا يخفى على ذوى البصائر"[11]0

وقال الشيخ حافظ الحكمي بعد ذكره لحديث ابن عباس:"فلو جاءهم اللعين وأمرهم من أول مرة بعبادتهم لم يقبلوا ولم يطيعوه، بل أمر الأولين بنصب الصور لتكون ذريعة للصلاة عندها ممن بعدهم، ثم تكون عبادة الله عندها ذريعة إلى عبادتها ممن يخلفهم"[12]0

وقال الشيخ صديق حسن خان:"ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته"[13]0

2- بيان النبي صلى الله عليه وسلم أن الاستغاثة بالله وحده 0

الاستغاثة: هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة 0يقال: استغاثني فلان فأغثته، ولا تجوز بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله 0 قال تعالى مبينا استغاثة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام بربهم وحده:**{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ**

---

[1] يعنى مزدلفة 0

[2] أي حصى صغارا. انظر لسان العرب جـ 9 / 61.

[3] أخرجه أحمد في مسنده جـ 1/215، 347، والنسائي في كتاب مناسك الحج جـ 5 /218، وابن ماجة كتاب المناسك باب 63 جـ 2/1008، وابن أبى عاصم في السنة جـ 1/46، والحاكم في المستدرك، وقال:صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

[4] صحيح مسلم كتاب العلم باب 4 جـ 4 / 2055.

[5] شرح النووي على مسلم جـ 16 / 220.

[6] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جـ 1 / 182.

[7] نوح / آية: 23.

[8] يعنى تحول وتغير ونسى بسبب ذهاب العلماء 0

[9] البخاري كتاب التفسير جـ 8 /667.

[10] جامع البيان في تفسير القرآن جـ 29 / 62.

[11] فتح المجيد الهامش ص 225.

[12] معارج القبول جـ 1 / 422.

[13] الدين الخالص جـ 2/ 445.

مُرْدِفِينَ}[1]0

وعن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه – قال:"لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه:"اللهم انجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض"، فمازال يهتف بربه، مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال:يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل:**{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ}**، فأمده الله بالملائكة"[2]0

وروى الطبراني عن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال:قال أبو بكر: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل" [3] 0

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بعد ذكره للحديث:"فيه النص على أنه لا يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا بمن دونه 0 كره النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعمل هذا اللفظ في حقه، وإن كان مما يقدر عليه في حياته، حماية لجناب التوحيد وسدا لذرائع الشرك وأدبا وتواضعا لربه وتحذيرا للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال، فإذا كان هذا فيما يقدر عليه صلى الله عليه وسلم في حياته، فكيف يجوز أن يستغاث به بعد وفاته"0

وقال في قرة العيون: "وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقدر أن يغيثهم من ذلك المنافق فيكون نهيه صلى الله عليه وسلم عن الاستغاثة به حماية لجناب التوحيد، وسدا لذرائع الشرك كنظائره مما للمستغاث به قدرة عليه مما كان يستعمل لغة وشرعا مخافة أن يقع من أمته استغاثة بمن لا يضر ولا ينفع"[4]0قلت: ويظهر بذلك أن الاستغاثة نوعان:

أ-استغاثة لا يقدر عليها إلا الله ولا تطلب إلا منه وحده، وطلبها من غيره شرك، وهى التي تقدم الحديث عنها 0

ب-استغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه ويتمكن من فعله والقيام به، فهذه ليست شركا، وذلك كاستغاثة الغريق مثلا بمن ينقذه ومنه استغاثة الاسرائيلي بموسى – عليه السلام – كما جاء في قوله:**{فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ}**[5]0

3- النهى عن اتخاذ القبور مساجد وعبادة الله عندها 0

قبل بيان ما ورد في الشرع من ذلك أرى من الضروري أن أبين أولاً صفة القبور الشرعية، حتى يتبين لنا المخالفات التي وقع فيها من اتخذوا القبور مساجد، ونفهم أيضا أهمية التحذيرات المتكررة من النبي صلى الله عليه وسلم ونهيه الشديد عن اتخاذ القبور مساجد 0

قال ابن فارس في مادة "قبر":"القاف والباء والراء أصل صحيح يدل على غموض في شيئ وتطامن[6]، ومن ذلك القبر قبر الميت، ويقال في اللغة: أطمأنت الأرض وتطأمنت: انخفضت [7] 0

وهذا يحدد مفهوم كلمة "قبر" في اللغة، وهو ما كان من المواضع منخفضا غير شارع ولا بارز 0

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في سنته صفة القبور، وما يجب أن تكون عليه، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما- قال:" نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه" [8] 0

وعن أبى الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبى طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم:"أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته"[9]0

وقد وردت أحاديث كثيرة بهذا المعنى، وكلها تدل على تحريم البناء على القبور أو الكتابة عليها وتجصيصها، وإيقاد السرج عليها[10]0

---

[1] الأنفال / آية: 9.

[2] مسلم كتاب الجهاد باب 18 جـ 3 /1384، وأحمد في مسنده جـ 1 / 30، 32.

[3] قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ 10 / 159: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث 0 قلت: ابن لهيعة ضعيف مختلط إلا في رواية العبادلة عنه، وهذه ليست منها، وقد ذكر بعض العلماء هذا الحديث في كتبهم كابن تيمية وغيره وسقته هناك كشاهد على موضوع سد الذرائع التي أنا بصدد الحديث عنها 0

[4] فتح المجيد / 184، 185، وبها مشه كلامه في قرة العيون 0

[5] القصص / آية: 15.

[6] أي انخفاض.

[7] انظر معجم مقاييس اللغة ج 5/47ولسان العرب جـ 13 / 268.

[8] أخرجه مسلم في كتاب الجنائز باب 32 جـ 2 /667، وأحمد في مسنده جـ 3/ 339، والترمذي في أبواب الجنائز باب 57 جـ 4 / 155، وأبو داود في كتاب الجنائز باب 76 جـ 3 /552.

والآن إلى ذكر بعض الأحاديث الواردة في النهى عن اتخاذ القبور مساجد والصلاة عندها، وبيان ما في ذلك من سد لذرائع الشرك 0

1-عن عائشة وعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قالا: لما نزل [1] برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق[2] صلى الله عليه وسلم يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتنم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما صنعوا[3]0

قال القرطبي في معنى الحديث:"وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها، كما كان السبب في عبادة الأصنام"، وقال أيضاً:"ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأعلوا حيطان تربته وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره صلى الله عليه وسلم، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين، فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال، حتى لا يمكنوا أحدا من استقبال قبره [4]0

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:"فحرم صلى الله عليه وسلم أن تتخذ قبورهم مساجد بقصد الصلوات فيها، كما تقصد المساجد، وإن كان القاصد لذلك إنما يقصد عبادة الله وحده، لأن ذلك ذريعة إلى أن يقصدوا المسجد لأجل صاحب القبر ودعائه، والدعاء به، والدعاء عنده، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ هذا المكان لعبادة الله وحده لئلا يتخذ ذريعة إلى الشرك بالله، والفعل إذا كان يفضى إلى مفسدة وليس فيه مصلحة راجحة ينهى عنه، كما نهى عن الصلاة في الأوقات الثلاثة لما في ذلك من المفسدة الراجحة، وهو التشبه بالمشركين الذي يفضى إلى الشرك"[5]0

وقال في موطن آخر:"إنه نهى عن بناء المساجد على القبور ولعن من فعل ذلك، ونهى عن تكبير القبور وتشريفها وأمر بتسويتها، ونهى عن الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانا، وحرم ذلك على من قصد هذا ومن لم يقصده بل قصد خلافه سدا للذريعة"[6]0

2-وفى الصحيحين وغيرهما [7] أن أم حبيبة وأم سلمة – رضي الله عنهما – ذكرتا كنيسة رأينها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال صلى الله عليه وسلم:"أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله"0

قال ابن حجر:"وإنما فعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم، ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم، ووسوس لهم الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فعبدوها، فحذر النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك سدا للذريعة المؤدية إلى ذلك [8]0

وقال ابن القيم بعد ذكره لهذا الحديث وغيره من الأحاديث الناهية عن اتخاذ القبور مساجد:"إن فتنة الشرك بالصلاة في القبور ومشابهة عباد الأوثان أعظم بكثير من مفسدة الصلاة بعد العصر والفجر، فإذا نهى عن ذلك، أي عن الصلاة بعد هذين الوقتين سدا لذريعة التشبه التي لا تكاد تخطر ببال المصلى، فكيف بهذه الذريعة القريبة التي كثيرا ما تدعو صاحبها إلى الشرك ودعاء الموتى واستغاثتهم، وطلب الحوائج منهم، واعتقاد أن الصلاة عند قبورهم

---

[9] أخرجه مسلم في كتاب الجنائز باب 31 جـ 2 /666، والترمذي في أبواب الجنائز باب 55 جـ 4/150، وأبو داود في كتاب الجنائز باب 72 جـ 3 / 548.

[10] يراجع في ذلك المبحث الثالث من الفصل الثاني من كتابي "أصول الاعتقاد عند الإمام البغوي"0

[1] نُزل و نزل، والمعنى: لما نزل ملك الموت، أو حضرت المنية، والوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

[2] طفق: بكسر الفاء وفتحها، أي: جعل، والكسر أفصح وأشهر 0

[3] الحديث أخرجه البخاري في مواضع منها كتاب الصلاة باب 55 جـ 1/532، وكتاب الجنائز باب 61 جـ 3 /200، وباب 96 جـ 3/255، وكتاب أحاديث الأنبياء باب 50 جـ 6/494، ومسلم في كتاب المساجد باب 3 جـ 1/ 377، والنسائي في كتاب المساجد باب النهى عن اتخاذ القبور مساجد جـ 2/33 وأحمد في مسنده جـ 6 /228، 275.

[4] فتح المجيد /239.

[5] مجموع الفتاوى جـ 3 / 163، 164.

[6] مجموعة الفتاوى الكبرى جـ 3 / 141.

[7] أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب 48 جـ 1/523، وباب 54 جـ 1/531، وكتاب الجنائز باب 70 جـ 3 / 208، وكتاب مناقب الأنصار باب 37 جـ 7 / 187،188، ومسلم في كتاب المساجد باب 3 جـ 1 / 375، والنسائي في كتاب المساجد جـ 2 /33.

[8] فتح الباري جـ 1/525.

أفضل منها في المساجد مما هو محادة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم "[1]0

3- وعن جندب بن عبد الله البجلي أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً، ولو كنت متخذا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا 0 ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد 0 ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك"[2]0

قال النووي:"قال العلماء: إنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه والافتتان به، فربما أدى ذلك إلى الكفر، كما جرى لكثير من الأمم الخالية ....."[3]0

وقال ابن القيم:"إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بناء المساجد على القبور، ولعن من فعل ذلك، ونهى عن تجصيص القبور وتشريفها واتخاذها مساجد، وعن الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها، وأمر بتسويتها ونهى عن اتخاذها عيدا، وعن شد الرحال إليها، لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانا والإشراك بها، وحرم ذلك على من قصده ومن لم يقصده، بل قصد خلافه سدًّا للذريعة"[4]0

وقد ذكر الصنعاني بعد سياقه لبعض الأحاديث المبينة لصفات القبور الشرعية:"وهذه الأخبار المعبر فيها باللعن والتشبيه بقوله:"لا تجعلوا قبري وثنا يعبد من دون الله"، تفيد التحريم للعمارة والتزيين والتجصيص، ووضع الصندوق المزخرف، ووضع الستائر على القبر وعلى سمائه، والتمسح بجدار القبر، وأن ذلك قد يفضى مع بعد العهد وفشو الجهل إلى ما كان عليه الأمم السابقة من عبادة الأوثان، فكان في المنع عن ذلك بالكلية قطع لهذه الذريعة المفضية إلى الفساد، وهو المناسب للحكمة المعتبرة في شرع الأحكام من جلب المصالح ودفع المفاسد سواء كانت بأنفسها أو باعتبار ما تفضي إليه"[5]0

4-وعن ثابت بن الضحاك – رضي الله عنه – قال:"نذر رجل على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينحر إبلا ببوانة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا:لا، قال: هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالو: لا 0 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم"[6]0

الفصل الثاني: سد الذرائع المؤدية إلى الشرك الأصغر 0

الشرك الأصغر: هو النوع الثاني من أنواع الشرك بعد الأكبر، وهو لا يخرج من الملة، ولكنه قد يحبط العمل الذي يصاحبه أو ينقص ثوابه [7]، وقد خاف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته منه، كما جاء في حديث محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء 0 يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟"[8]، والمراد بالرياء في هذا الحديث هو يسيره، لا النفاق الاعتقادي الأكبر المخرج من الملة، وذلك أن الرياء قد يطلق ويراد به النفاق الأكبر كما جاء في قوله تعالى:**{كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}**[9]0

قال ابن كثير في تفسيره:"أي: لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدحة الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس، أو يقال: إنه كريم، ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه، ولهذا قال:**{ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}**[10]0

وطريقة التفريق بين الرياء الذي هو النفاق الأكبر، وبين الرياء الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم شركاً أصغر حديث:"إنما الأعمال بالنيات....."[11]، فالنية هي التي تفرق بينهما، وقد وضح ذلك وفصله الشيخ حافظ الحكمي فقال:".....فإن كان الباعث على العمل هو إرادة غير الله عز وجل والدار الآخرة فذلك النفاق الأكبر ...، وإن كان الباعث على العمل هو إرادة

---

[1] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جـ 1/ 188.

[2] أخرجه مسلم في صحيحة كتاب المساجد باب 3 جـ 1 / 377، 378.

[3] شرح النووي على مسلم جـ 5 / 13.

[4] إعلام الموقعين عن رب العالمين جـ 3 /151.

[5] سبل السلام شرح أدلة الأحكام جـ 2/574.

[6] 1 بوانة: هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر.انظر معجم البلدان جـ 1/505

أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأيمان والتذور باب 23 جـ 9 / 140.وقال الشيخ الألبانى 0 صحيح 0 انظر صحيح سند أبى داود جـ 2 /637.

[7] انظر معارج القبول جـ 1 / 450.

[8] أخرجه أحمد في مسنده جـ 5 / 428، 429، والبغوى في شرح السنة جـ 14 / 324.

[9] البقرة / آية: 264.

[10] تفسير ابن كثير جـ 1 / 470.

الله عز وجل والدار الآخرة، ولكن دخل عليها الرياء في تزيينه وتحسينه فذلك هو الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الشرك الأصغر وفسره بالرياء العملى .....0[1]

ولخطورة هذا النوع من الشرك أيضاً، ولخفائه أحياناً، وصيانة لجانب التوحيد، فقد سدَّ الشارع كل الوسائل المفضية إلى الوقوع فيه، وسأبين ذلك من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: سد الذرائع في الألفاظ

لقد تهاون كثير من الناس في هذه المسألة، وأصبحوا يطلقون كلمات توقعهم في هذا اللون من الشرك، ولكثرة وقوعه وانتشاره بدأت الحديث عنه في هذا الفصل، ومن أمثلة سد الذرائع في هذا الباب ما يلي:

أ- النهى عن الحلف بغير الله: لما كان الحلف بال شيئ يقتضى تعظيمه، والعظمة في الحقيقة لله وحده، نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله كما في حديث عمر – رضي الله عنه – قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم"0[2]

وعن ابن عمر – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"0[3] قال الترمذي بعد سياقه:"هذا حديث حسن [4]، وتفسير هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن قوله:"فقد كفر أو أشرك"، على التغليظ، والحجة في ذلك حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع عمر يقول: وأبى وأبى، فقال:"ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم"، وحديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"من قال في حلفه:و اللات والعزى فليقل:لا إله إلا الله 0

وهذا مثل ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"الرياء شرك"، وقد فسر بعض أهل العلم هذه الآية:**{فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحا}** الآية 0 قال: لا يرائي"0[5]

قال ابن حجر:" والتعبير بقوله:"فقد كفر أو أشرك للمبالغة في الزجر والتغليظ في ذلك، وقد تمسك به من قال بتحريم ذلك"0[6]

قال أبو جعفر الطحاوي:"لم يرد به الشرك الذي يخرج من الإسلام حتى يكون به صاحبه خارجاً عن الإسلام، ولكنه أراد أنه لا ينبغي أن يحلف بغير الله تعالى، لأن من حلف بغير الله تعالى فقد جعل ما حلف به محلوفا به، كما جعل الله تعالى محلوفا به، وبذلك جعل من حلف به أو ما حلف به شريكا فيما يحلف به، وذلك أعظم، فجعله شركا بذلك شركا غير الشرك الذي يكون به كافرا بالله تعالى خارجا عن الإسلام"0

قال الشيخ الألباني بعد نقله لهذا الكلام:"يعنى – والله أعلم – أنه شرك لفظي وليس شركا اعتقاديا، والأول تحريمه من باب سد الذرائع، والآخر محرم لذاته، وهو كلام وجيه متين"0[7]

ب-النهى عن قول:"ما شاء الله وشئت"0

قال البخاري في صحيحة:"باب لا يقول ما شاء الله وشئت"0[8]

وعن حذيفة بن اليمان أن رجلا من المسلمين رأى في النوم أنه لقي رجلا من أهل الكتاب فقال: نعم القوم أنتم، لولا أنكم تشركون 0 تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، وذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال:"أما والله، إن كنت لأعرفها لكم، قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد" 0[9]

قال الربيع بن سليمان: قال الشافعي:"المشيئة إرادة الله قال الله سبحانه وتعالى:"وما تشاؤون إلا أن يشاء الله"[10]، فأعلم الله خلقه أن المشيئة له دون خلقه، وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء، فيقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما شاء الله ثم شئت"، ولا يقال:"ما شاء الله وشئت"0[11]

---

[11] أخرجه البخاري في مواطن منها كتاب بدء الوحي باب 1 جـ 1 / 9، ومسلم في كتاب الإمارة باب 45 جـ 3 / 1515.

[1] معارج القبول جـ 1 / 454.

[2] أخرجه البخاري في كتاب الأيمان باب 4 جـ 11/ 530، ومسلم كتاب الأيمان باب 1 جـ 3 /1266، ومالك في الموطأ جامع الأيمان جـ 3 /67 من شرح الزرقانى 0

[3] أخرجه الترمذي في أبواب النذور باب 8 جـ 5 / 135 من تحفة الأحوذى 0

[4] قال الشيخ الألباني بعد ذكره لكلام الترمذي هذا، بل هو صحيح 0 انظر السلسلة الصحيحة جـ 5 /70.

[5] الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي جـ 5 / 136، 317.

[6] فتح البارى جـ 11 /531.

[7] سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ 1 /217.

[8] أخرجه البخاري فىكتاب الأيمان والنذور باب 8 جـ 11 /539.

[9] أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الكفارات باب 13 جـ 1 م 685، والدارمي في سننه كتاب الاستئذان جـ 2/295، وأحمد في مسنده جـ 5 /393، 394.

[10] الإنسان / آية: 30.

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم:"ما شاء الله وشئت"، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:"أجعلتني والله عدلا، بل ما شاء الله وحده"[1]0

قال ابن القيم:" إنه صلى الله عليه وسلم قال:"لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، وذم الخطيب الذي قال:"من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن عصاهما فقد غوى"، سدا لذريعة التشريك في المعنى بالتشريك في اللفظ، وحسما لمادة الشرك حتى في اللفظ، ولهذا قال للذي قال له:"ما شاء الله وشئت" أجعلتني لله ندا؟ فحسم مادة الشرك، وسد الذريعة إليه في اللفظ، كما سدها في الفعل والقصد، فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله أكمل صلاة وأتمها وأزكاها وأعمها"[2]0

وقال الشيخ الألباني بعد ذكره لبعض الأحاديث في هذا الموضوع:"قلت: وفى هذه الأحاديث أن قول الرجل لغيره:ما شاء الله وشئت يعتبر شركا في نظر الشارع، وهو من شرك الألفاظ، لأنه يوهم أن مشيئة العبد في درجة مشيئة الرب سبحانه وتعالى، وسببه القرن بين المشيئتين، ومثل ذلك قول بعض العامة وأشباههم ممن يدعى العلم مالي غير الله وأنت، وتوكلنا على الله وعليك، ومثله قول بعض المحاضرين: باسم الله والوطن، أو باسم الله والشعب، ونحو ذلك من الألفاظ الشركية التي يجب الانتهاء عنها والتوبة منها، أدبا مع الله تبارك وتعالى"[3]0

---

[11] شرح السنة للبغوي جـ 12 / 361.

[1] مسند أحمد جـ 1 /214،224،283،347.

[2] إعلام الموقعين جـ 3 / 158، 159.

[3] سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ 1 /217.

جـ- النهي عن قول: عبدي وأمتي 0

عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة – رضي الله عنه – يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"لا يقل أحدكم:أطعم ربك وضئ ربك، وليقل:سيدي، مولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي، أمتي، وليقل:فتاي، وفتاتي وغلامي"[1]0

قال البغوي:"قيل:إنما منع من أن يقول:ربى أو اسق ربك، لأن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد، فكره له المضاهاة بالاسم، لئلا يدخل في معنى الشرك، والعبد والحُر،فيه بمنزلة واحدة، فأما ما لا تعبُّد عليه من سائر الحيوان والجماد فلا يمنع منه، كقولك: رب الدار، ورب الدابة والثوب، ولم يمنع العبد أن يقول:سيدي ومولاي، لأن مرجع السيادة إلى معنى الرياسة على من تحت يده، والسياسة له وحسن التدبير لأمره، ولذلك سمي الزوج سيدا 0 قال الله سبحانه وتعالى:**{وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ}**[2] .....، ومنع السيد من أن يقول: عبدي، لأن هذا الاسم من باب المضاف ومقتضاه العبودية له، وصاحبه عَبْدُ لله، مُتَّعَبَّدُ بأمره ونهيه، فإدخاله مملوكه تحت هذا الاسم يوهم التشريك..."[3]0

وقال النووي في شرحه للحديث:"يكره للسيد أن يقول لمملوكه عبدي وأمتي، بل يقول "غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي، لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى، ولأن فيها تعظيما بما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم العلة في ذلك فقال:"كلكم عبيد الله، فنهى عن التطاول في اللفظ"[4]0

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب العتق باب 17 جـ 5 /177، ومسلم في كتاب الألفاظ باب 3 جـ 4/1765، وأبو داود في سننه كتاب الأدب باب 83 جـ 5/256، وأحمد في مسنده جـ 2 /316، 423، 463.

[2] يوسف / آية: 25.

[3] شرح السنة جـ 12 /350، 351.

[4] شرح النووي على مسلم جـ 15 / 7.

وقال ابن القيم:"إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى الرجل أن يقول لغلامه وجاريته:عبدي وأمتي، ولكن يقول:فتاي وفتاتي، ونهى أن يقول لغلامه:وضئ ربك، أطعم ربك سدا لذريعة الشرك في اللفظ والمعنى، وإن كان الرب ههنا هو المالك كرب الدار، ورب الإبل، فعدل عن لفظ العبد والأمة إلى لفظ الفتى والفتاة، ومنع من إطلاق لفظ الرب على السيد حماية لجانب التوحيد وسدا لذريعة الشرك"0[1]

وقال عبد الرحمن بن حسن:"هذه الألفاظ المنهي عنها، وإن كانت تطلق لغة، فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها تحقيقا للتوحيد، وسدا لذرائع الشرك لما فيها من التشريك في اللفظ، لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم، فإذا أطلق على غيره شاركه في الاسم فينهى عنه لذلك، وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالى...، فالنهى عنه حسما لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقا للتوحيد، وبعدا عن الشرك حتى في اللفظ، وهذا من أحسن مقاصد الشريعة لما فيه من تعظيم الرب تعالى، وبعده عن مشابهة المخلوقين، فأرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ، وهو قوله:"سيدي ومولاي" وكذا قوله:"ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي"، لأن العبيد عبيد الله والإماء إماء الله 0 قال الله تعالى:**{إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً}**[2]، ففي إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك تعظيما لله تعالى وأدبا وبعدا عن الشرك وتحقيقا للتوحيد، وأرشدهم إلى أن يقولوا:"فتاي وفتاتي وغلامي"، وهنا من باب حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد، فقد بلغ صلى الله عليه وسلم أمته كل ما فيه نفع لهم، ونهاهم عن كل ما فيه نقص في الدين، فلا خير إلا دلهم عليه،خصوصا في تحقيق التوحيد، ولا شر إلا حذرهم منه خصوصا ما يقرب من الشرك لفظا وإن لم يقصد 0 وبالله التوفيق"0[3]

المبحث الثاني: سد الذرائع في الأعمال

كما نهى الشارع عن الشرك في الألفاظ وسَدَّ كل الوسائل المؤدية إليه، نهى أيضا

---

[1] إعلام الموقعين جـ 3 / 162، 163.

[2] مريم / آية: 93.

[3] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / 467.

وحذر من الوسائل المفضية إلى الشرك في الأعمال، ويظهر ذلك في الصور التالية:

1- النهى عن التمائم:

التمائم: جمع تميمة، وهى خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام [1]0

وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"إن الرقى والتمائم والتولة شرك"[2]0

وقد اختلف العلماء في التمائم إذا كانت من القرآن الكريم، فأباحها البعض كالرقى الشرعية، ومنعها آخرون سدا لذريعة الوقوع في الشرك، ومن هؤلاء ابن مسعود وابن عباس وغيرهم 0

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه التوحيد:"التمائم شيئ يعلق على الأولاد عن العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود رضي الله عنه –"0

قال شارحه:"هذا هو الصحيح- أي النهى عن تعليق التمائم من القرآن –لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل:

الأول: عموم النهى ولا مخصص للعموم 0

الثاني: سد الذريعة فإنه يفضى إلى تعليق ما ليس كذلك 0

الثالث:"أنه إذا علق فلابد أن يمتهنه المعَلِّق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك"[3]0

وقال الشيخ حافظ الحكمي:

وفى التمائم المعلقات إن تك آيات بينات

فالاختلاف واقع بين السلف فبعضهم أجازها والبعض كف

ثم ذكر بعض أسماء المانعين والمبيحين وعقب بقوله:"ولا شك أن منع ذلك سد لذريعة الاعتقاد والمحظور، لاسيما في زماننا هذا، فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة، والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال، فلأن يكره في وقتنا هذا – وقت الفتن والمحن- أولى وأجدر بذلك "[4]0

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز:"واختلف العلماء في التمائم إذا كانت من القرآن أومن

---

[1] النهاية في غريب الحديث والأثر جـ 1/197، وانظر شرح السنة جـ 12 /158.

[2] أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطب باب 17 جـ 10 /367، وابن ماجة كتاب الطب باب 39 جـ 2 / 1167 وأحمد في مسنده جـ 1 /381.

[3] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد / 132، 133.

[4] معارج القبول جـ 1 / 469، 470.

الدعوات المباحة 0 هل هي محرمة أم لا؟ والصواب تحريمها لوجهين:

أحدهما: عموم الأحاديث المذكورة، فإنها تعم التمائم من القرآن وغير القرآن 0

والوجه الثاني: سد ذريعة الشرك، فإنها إذا أبيحت التمائم من القرآن اختلطت بالتمائم الأخرى واشتبه الأمر، وانفتح باب الشرك بتعليق التمائم كلها، ومعلوم أن سد الذرائع المفضية إلى الشرك والمعاصي من أعظم القواعد الشرعية 0 والله ولى التوفيق"[1]0

وعليه فتعليق التمائم ينهى عنه بإطلاق سدا للذريعة في ذلك التي منها تعليق ما ليس من القرآن، وتعظيما لكلمات الله وآياته من امتهانها أثناء قضاء الحاجة وغير ذلك، خاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه البدع وانتشر أهل الخرافة والدجل والمشعوذين وغلب الجهل على كثيرين 0

قال الشيخ الألباني بعد ذكره لتعريف التميمة:"ولا تزال هذه الضلالة فاشية بين البدو والفلاحين وبعض المدنيين، ومثلها الخرزات التي يضعها بعض السائقين أمامهم في السيارة- يعلقونها على المرآة وبعضهم يعلق نعلا في مقدمة السيارة أو في مؤخرتها، وغيرهم يعلقون نعل فرس في واجهة الدار أو الدكان فكل ذلك لدفع العين زعموا، وغير ذلك مما عم وطم بسبب الجهل بالتوحيد وما ينافيه من الشركيات والوثنيات التي ما بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا من أجل إبطالها والقضاء عليها"[2]0

2- النهى عن انحناء الرجل للرجل أو القيام له 0

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال:"قال رجل يا رسول الله: الرجل منا يلقى أخاه، أو صديقه، أينحني له؟ قال:لا، قال:فيلتزمه ويقبله 0 قال: لا، قال: فيأخذ بيده ويصافحه، قال:نعم"[3]0

قال ابن القيم:"إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى الرجل أن ينحني للرجل إذا لقيه كما يفعل كثير من المنتسبين إلى العلم ممن لا علم له بالسنة بل يبالغون إلى أقصى حد الانحناء مبالغة في خلاف السنة جهلا، حتى يصير أحدهم بصورة الراكع لأخيه، ثم يرفع رأسه من الركوع كما يفعل إخوانهم من السجود بين يدي شيوخهم الأحياء والأموات، فهؤلاء أخذوا من الصلاة سجودها، وأولئك ركوعها، وطائفة ثالثة قيامها، يقوم عليهم الناس وهم قعود كما يقومون في الصلاة، فتقاسمت الفرق الثلاث أجزاء الصلاة، والمقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن انحناء الرجل لأخيه سداً لذريعة الشرك، كما نهى عن السجود لغير الله [4] 0

تنبيه: جاء في حديث أنس السابق نهى عن الالتزام وهو المعانقة، وقد وردت عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لقول أنس – رضي الله عنه -:"كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا"[5]0

وعانق عبد الله بن أنيس جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – لما رحل إليه من المدينة إلى الشام ليسأله عن حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم [6] 0

وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث، ودفعوا التعارض الظاهر بينها، ومنهم الإمام البغوي، وفى ذلك يقول:"قال حميد بن زنجوية: قد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن المعانقة والتقبيل، وجاء أنه عانق جعفر بن أبى طالب وقبله عند قدومه من أرض الحبشة، ولكل وجه عندنا، فأما المكروه من المعانقة والتقبيل، فما كان على وجه الملق والتعظيم وفى الحضر، فأما المأذون فيه، فعند التوديع وعند القدوم من السفر وطول العهد بالصاحب، وشدة الحب في الله ومن قبَّل فلا يقبل الفم،ولكن اليد والرأس والجبهة"[7]0

---

[1] من مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز جـ 1 /279.

[2] السلسلة الصحيحة جـ 1 /810.

[3] أخرجه الترمذي في أبواب الاستئذان باب 31 جـ 7 /514، وابن ماجة في كتاب الأدب باب 15 جـ 2 / 1220، وأحمد في مسنده جـ 3 / 198.

[4] إعلام الموقعين جـ 3/166، 167.

[5] رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد جـ 8 /36.

[6] أخرجه البخاري في الأدب المفرد باب المعانقة جـ 2/458، وعلقه في صحيحه في كتاب العلم باب 19، وقال الحافظ في الفتح: إسناده حسن، وأحمد في مسنده جـ 3 / 198.

[7] شرح السنة للبغوى جـ 12 / 292، 293.

وقال الشيخ الألباني عقب ذكره لبعض أحاديث النهى وأحاديث الإباحة: "فيمكـن أن يقـال: إن المعانقة في السفر مستثنى من النهى لفعل الصحابة ذلك"[1]0

وكما نهى صلى الله عليه وسلم عن الانحناء سدًّا للذريعة، كره أن يقوم الناس له، كما ذكر وعيداً شديدا لمن يحب أن يتمثل الناس له قياما 0

فعن أنس – رضي الله عنه- قال :"ما كان في الدنيا شخص أحب إليهم رؤية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا إليه، لما يعلمون من كراهيته لذلك"[2]0

وعن أبى مجلز قال :"خرج معاوية فقام عبد اللـه بـن الزبيـر وابـن صـفوان حيـن رأوه، فقال :اجلسا، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "من سره أن يتمثـل لـه الرجـال قياما فليتبوأ مقعده من النار"0 قال الترمذي :" وفى الباب عن أبى أمامه، وهذا حديث حسن"[3]0

ولا يتعارض النهى عن القيام هنا مع قول النبي صلى الله عليه وسـلم لمـا قـدم سـعد بـن معاذ إلى بنى قريظة ليحكم فيهم : " قوموا إلى سيدكم"[4] للفرق بين الحالين، وقـد وضـح ذلـك ابن يتمية –رحمه الله- وفصله تفصيلا دقيقا فقال :"لم تكن عادة السلف علـى عهـد النـبي صـلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين أن يعتادوا القيام كلما يرونه صلى الله عليه وسلم كمـا يفعلـه كثير من الناس، بل قد قال أنس بن مالك: لم يكن شخص أحب إليهم من النبي صلى اللـه عليـه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له، لما يعلمون من كراهيته لذلك، ولكن ربما قـاموا للقـادم مـن مغيبه تلقيا له، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام لعكرمة وقال للأنصـار لمـا قـدم سعد بن معاذ :قوموا إلى سيدكم، وكان قد قدم ليحكم فـي بنـى قريظـة.....، وأمـا القيـام لمـن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقيا له فحسن، وإذا كان من عـادة النـاس إكـرام الجـائي بالقيـام ولـو ترك لاعتقد أن ذلك لترك حقه، أو قصد خفضه، ولـم يعلـم العـادة الموافقـة للسـنة، فالأصـلح أن يقام له، لأن ذلـك أصـلح لـذات الـبين وإزالـة التبـاغض والشـحناء، وأمـا مـن عـرف عـادة القـوم الموافقة للسنة، فليس في ترك ذلك إيذاء له، وليس هذا القيام المذكور فـي قـوله صـلى اللـه عليه وسلم : "من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار"، فإن ذلـك أن يقومـوا له وهو قاعد، ليس هو أن يقوموا لمجيئة إذا جاء، ولهذا فرقوا بين أن يقال :قمت إليه وقمت لـه، والقائم للقادم ساواه في القيام بخلاف القائم للقاعد"[5]0

كما جمع بين الأحاديث ابن القيم جمعا حسنا، وذكر أن الأحـاديث الـتي ورد فيهـا القيـام كان لعارض، وأنه كان قياما إلى الرجل للقائه، لا قياما له، ثم قال :"فالمـذموم : القيـام للرجـل، وأما القيام إليه للتلقي إذا قدم :فلا بأس به، وبهذا تجتمع الأحاديث"[6] قلت : هذا جمع جيد وحسن بين النصوص الثابتة، وعليه فينهى القيام للشخص للتعظيم مهما كانت منزلته سدًّا لذريعة الوقوع في الشرك، بعد الغلو فيه، أو مجاوزة الحد في حبه وتعظيمه وما إلى ذلك كما هو واقع من بعض أتباع الطرق لمشايخهم، وأما القيام لعارض كالقيام للقادم من سفر، أو لغـائب علـى سـبيل الـبر والإكرام فلا بأس به 0

وقد نقل أبو عبد الله بن الحاج[7] عن أبى الوليد بن رشد أن القيام يقع على أربعة أوجه:

الأول: محظور، وهو أن يقع لمن يريد أن يقام إليه تكبرا وتعاظما على القائمين إليه 0

الثاني: مكروه، وهو أن يقع لمن لا يتكبر ولا يتعاظم على القائمين، ولكن يخشى أن يدخل نفسه بسبب ذلك ما يحذر، ولما فيه من التشبه بالجبابرة 0

الثالث: جائز، وهو أن يقع على سبيل البر والإكرام لمن لا يريد ذلك، ويـؤمن معـه التشـبه بالجبابرة 0

الرابع: مندوب، وهو أن يقوم لمن قدم من سفر فرحا بقـدومه ليسـلم عليـه، أو إلـى مـن تجددت له نعمة فيهنئه بحصولها أو مصيبة فيعزيه بسببها .

وقال التوربشتى في شرح المصابيح :معنى "قوموا إلى سيدكم"، أى إلى إعانته وإنزالـه من دابته، ولو كان المراد التعظيم لقال: قوموا لسيدكم" [8]0

وقال الألباني في حديث أبى مِجلَز :"دلنا هذا الحديث على أمرين:

الأول: تحريم حب الداخل على الناس القيام منهم له، وهو صـريح الدلالـة، بحيـث أنـه لا يحتاج إلى بيان 0

والآخر: كراهة القيام مـن الجالسـين للـداخل، ولـو كـان لا يحـب القيـام، وذلـك مـن بـاب التعاون على الخير، وعدم فتح باب الشر، وهذا معنـى دقيـق دلنـا عليـه راوى الحـديث معاويـة – رضي الله عنه -، وذلك بإنكاره على عبد الله بن عامر قيامه له،واحتج عليه بالحـديث، وذلـك مـن فقهه في الدين، وعلمه بقواعد الشريعة التي منها سد الذرائع"[9]0

---

[1] سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ 1/252.

[2] أخرجه البخاري في الأدب المفرد جـ 2/419 ، والترمذي في أبواب الاستئذان باب 47 جـ 8/29، وأحمد في مسنده جـ 3 /132 0

[3] سنن الترمذي أبواب الاستئذان باب 47 جـ 8 / 30 ، والبخاري في الأدب المفرد جـ 2 / 466، وأبو داود في سننه أبواب السلام باب 24 جـ 14/142 وأحمد في مسنده جـ 4/93، 100 0

[4] أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان باب 26 جـ 11/29 0

[5] مجموع فتاوى ابن تيمية جـ 1 /374 ، 375 0

[6] شرح ابن القيم لسنن أبى داود من كتاب عون المعبود جـ 14 / 127 0

[7] أنظر المدحل لابن الحاج جزء 1 من ص 168، وفتح الباري لابن حجر جزء 11 / 51 ، 52

[8] المرجع السابق جـ 11 / 52 0

[9] السلسلة الصحيحة جـ 1 / 629 0

ومـن هـذا البـاب مـا جـاء فـي صـحيح البخـاري عـن عائشـة – رضـي اللـه عنهـا – أنهـا قالت :"صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته وهو شاكٍ، فصـلى جالسـا، وصـلى وراءه قوم قياما، فأشار أن اجلسوا، فلما انصرف قال :إنما جعل الإمام ليـؤتم بـه، فـإذا ركـع فـاركعوا، وإذا رفع فارفعوا"[10]0

قال ابن القيم :"إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر المأمومين أن يصلوا قعودا إذا صلى إمامهم قاعدا، وقد تواتر عنه ذلك، ولم يجئ عنـه مـا ينسـخه، ومـا ذاك إلا سـدا لذريعـة مشـابهة الكفار، حيث يقومون على ملوكهم وهو قعود"[11]0

قلت: تأمل أيها المسلم حرص الإسلام ورسول رب العالمين وسلف الأمة الصالحين علـى مخالفة الكفار والمشركين، ونهى الشريعة الغراء على المباح خوفا من الوقوع فـي الحـرام، كـل ذلك صيانة وحماية للعقيدة، وتحقيقا للتوحيد 0

فما بالنا اليوم نجد جرأة كبيرة، حتى من بعض المنتسبين إلى العلـم فـي التسـاهل فـي هذا الباب، ويا ليت الأمر – مـع خطـورته- اقتصـر علـى الجـائز المـؤدى إلـى الحـرام، بـل وقعـوا صراحة فيما نهى عنه الشارع الحكيم، وسقطوا في أعمال الجاهلين 0 فإنا لله وإنا إليـه راجعـون 0

---

[10] أخرجه البخاري في كتاب تقصير الصلاة باب 17 جـ 2 / 584 0

[11] إعلام الموقعين جـ 3 / 158 0